المصدر: الحياة
التاريخ: ١٩٩٦/٨/١٧

في كتاب لجوزيف فنكلستون عن الرئيس المصري السابق

السادات تحدى... لكن هل التحدي هو الخيار الأفضل؟

□ لندن
من سمير ناصيف:

■ صدر اخيراً كتاب لجوزيف فنكلستون بعنوان «أنور السادات، صاحب الرؤية الذي تحدّى» (Anwar Sadat, Visionary Who Dared) عن دار فرانك كاس في لندن.

الكتاب فريد من نوعه لأن مؤلفه صحافي يهودي وافق السادات على اعطائه مقابلة قبل زيارته التاريخية الى القدس التي سبقت توقيعه اتفاقية كامب ديفيد.

يتضمن الكتاب معلومات مفصله عن العوامل الانسانية والسياسية المحيطة بالسادات لدى اتخاذه القرارات المصيرية المتعلقة بحرب تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣ وقيامه بزيارته المفاجئة الى اسرائيل حين خاطب النواب الاسرائيليين في الكنيست.

واهم ما فيه ان المؤلف تجاوز منطق «انتم ونحن» وتخطى عقلية القوقعة التي يختارها بعض المؤلفين من الجانبين العربي واليهودي وحاول اضفاء صيغة الموضوعية على كتابه ونجح الى حد كبير.

ففي بعض الأحيان، وجه الانتقادات اللاذعة للسادات وخصوصاً ازاء مراحل حياته الأولى وتطرق الى ميله لحل الأمور بالعنف واعتبر ان جمال عبدالناصر كان أكثر روية ودبلوماسية منه، وفي مراحل اخرى من الكتاب، وخصوصاً عندما تحدث عن السنوات السابقة لاغتياله يشدد على تطور ايجابي في شخصية السادات. بيد انه في كل المراحل ركز على ان الأهداف السياسية كانت الأهم بالنسبة الى القائد المصري الراحل وان «المسرحيات» التي كان يراها الجمهور عبر شاشات التلفزيون لم تكن لتعبر بالفعل عن الرغبة الحقيقية للسادات الكامنة في استرجاع الأراضي العربية المسلوبة (وليس الأراضي المصرية فحسب) وتطبيق القرارات الدولية وخصوصاً ٢٤٢ و٣٣٨، وانشاء سلطة ذاتية للفلسطينيين تضم جزءاً من القدس.

يتضمن الكتاب ٢٤ فصلاً وعدداً من الصور وتتحدث الفصول الأولى عن نشوء السادات في ريف مصر ثم تصف الصعوبات التي تعرض لها وأدت الى دخوله السجن وتأثير الحياة في السجن عليه وعلاقته بزوجته الأولى وأولاده ثم بزوجته الثانية جيهان (التي أعطت المؤلف معلومات قيمة استعملها في الكتاب).

تركز بعض هذه الفصول على حقيقة علاقته بعبدالناصر وتشير الى ان الأخير كان أقرب الى عبدالحكيم عامر ومعاونيه الآخرين وان تعيين السادات نائباً للرئيس تم لاشغاله بالأمور الاعلامية وابعاده عن القرارات المصيرية وان الجميع اعتبر وصوله الى السلطة بعد وفاة عبدالناصر مفاجأة.

غير انه يشدد على حنكة السادات ومقدرته على الخدعة واشراكه في خدعة كبيرة بمساعدة القادة السوفيات أدت الى نجاح المرحلة الأولى من حرب تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣. ومن الأمور الطريفة التي يشير اليها كون السادات دفع الاسرائيليين الى اعلان حالة الطوارئ في أكثر من مناسبة قبل ان يطلق هجومه في حرب تشرين الأول (اكتوبر) املاً في ان يتراجع الاسرائيليون عن اعلان حالة الاستنفار الكاملة في سبيل تجنب تكبد التكاليف (وقد نجح في ذلك).

ويؤكد الكاتب الدور الرئيسي الذي لعبه وزير الخارجية الأميركي السابق هنري كيسينجر في «ترقيع» واقعة الحصار الاسرائيلي للجيش المصري الثالث والاستفادة منها سياسياً لدفع السادات الى القيام بخياراته السلمية.

ويستقي فنكلستون معلوماته من مصادر اساسية اسرائيلية فهو لم يكن مدير التحرير الدولي لصحيفة «جويش كرونيكل» ومراسل صحيفة «معاريف» في لندن فقط بل يبدو انه كان على

اتصال بمسؤولين كبار في الجهاز الأمني الاسرائيلي. ويستشهد في أكثر من مناسبة بأقوال لديفيد كيمحي المسؤول الكبير السابق في «الموساد» الذي أصبح في ما بعد مديراً عاماً لوزارة الخارجية ومسؤولاً عن الشؤون اللبنانية.

وفي هذه الاستشهادات، كما في وصفه لتصرفات مناحيم بيغن وأريل شارون وموشي دايان وغولدا مائير وعازرا وايزمان في المراحل الحاسمة من تاريخ اسرائيل افادة لمن يرغب في التعرف على طريقة التفكير والعمل الاسرائيلية عندما تواجه الدولة العبرية الضغوط العسكرية والسياسية أو عندما تقرر التفاوض لتحقيق السلام وخصوصاً ان اسرائيل اليوم تخضع لقيادة شبيهة لتلك التي وجدت خلال فترة حكم السادات.

ويتحدث الكاتب عن ردود الفعل في الشارعين المصري والاسرائيلي ازاء زيارة السادات الى اسرائيل في عام ١٩٧٧ ويصف حالة الدهشة في الجانبين وخصوصاً الجانب المصري التي تحولت في ما بعد الى حال عداء ونفور بعد فشل السادات في الحصول على تسوية ترضي جميع الأطراف العربية وبعدما عزلت مصر عربياً بسبب هذا الفشل.

ويوجه الكاتب نقداً الى مناحيم بيغن والطريقة التي تعامل فيها مع السادات اذ لم يأخذ في الاعتبار ان الرئيس المصري الراحل كان يخاطب الشعوب العربية بعد كل خطوة يتخذها وأنه كان عليه ان يظهر أمام هذه الشعوب انه حقق شيئاً فعلياً. فقد كان بيغن يصعب الأمور ويأمر باستمرار حملة الاستيطان ويعين أشخاصاً متمسكين باحتلال الأراضي العربية في مناصب حساسة على حساب مسؤولين كان السادات باستطاعته التفاهم معهم.

وفي قراءة الكتاب افادة للزعماء الاسرائيليين الحاليين اذ يمكن ان يتفادوا الأخطاء التي ارتكبها بيغن التي أدت الى اضعاف موقف السادات وبالتالي الى اغتياله. فالقيادات الاسلامية المصرية اعتقدت في المرحلة الاولى ان زيارة السادات ستحقق شيئاً وخصوصاً في ما يتعلق باسترجاع الأماكن المقدسة وتأمين حقوق الفلسطينيين لكن المواقف المتحجرة في قيادة بيغن أدت الى عزل السادات أكثر فأكثر داخلياً وعربياً.

ويتطرق الكتاب الى علاقة السادات بالرئيس الأميركي السابق جيمي كارتر وأمله في ان يفرض الأخير مواقفه على القيادة الاسرائيلية. وهنا أيضاً يكرر التاريخ نفسه بالنسبة الى علاقة

الزعماء العرب مع الرئيس الاميركي الحالي بيل كلينتون فبينما تأتي الوعود بأن الامور ستتحقق كما يرغب بها الجانب العربي تتبدل الأشياء كلما اقترب موعد الانتخابات الرئاسية الاميركية وتتوجه الرؤية الاميركية لتصب في خانة واحدة مع الرؤية الاسرائيلية للأمور ويفشل الراغبون بالسلام ويقوى المؤمنون بالحلول العنيفة.

ويتضمن الكتاب وصفاً مفصلاً لعلاقة السادات مع وزير خارجيته محمد ابراهيم كامل الذي كان يؤمن بالمواقف الدقيقة والواضحة خلال المفاوضات ويتلقى مواقف غامضة ومتناقضة من السادات الذي ظل معتمداً حتى اللحظة الأخيرة على انطلاق ضغط أميركي في مصلحته.

ويشير فنكلستون في احدى المناسبات الى حنق كبير من جانب كامل عندما أبلغه السادات ان وايزمان سيحضر للقائه في القاهرة في فترة اجتمع خلالها وزراء الخارجية العرب لبحث الاجتياح الاسرائيلي لجنوب لبنان في عام ١٩٧٨!

ويؤكد الكاتب ان السادات دافع عن القضايا العربية ليس محبة بالشعوب العربية بل لأنه يعتبر نفسه (كرئيس لجمهورية مصر) مسؤولا عن المصالح العربية الاخرى، ولكونه لم يرغب في ان يعتبر السلام الذي وقعه في كامب ديفيد سلاماً مصرياً - اسرائيلياً فحسب.

كما رغب السادات في ان تلعب الولايات المتحدة دوراً رئيسياً وتصبح شريكة في عملية السلام.

وهذا ما اعتبر انه حققه في اتفاقية كامب ديفيد. وهذا ما يسعى اليه الكثير من القادة العرب.

وهذه القضية ما زالت على المحك فكان دخول الولايات المتحدة وحدها في عملية السلام أكثر ضمانة من دخول فرنسا أو اوروبا أو غيرهما معها. فمع ان أميركا هي أقوى دولة في العالم في هذه المرحلة إلا ان قادتها لا يستطيعون تأمين استمرار تعهداتهم بسبب ارتباطهم بالمجموعات الضاغطة التي تنتخب رئيساً جديداً كل اربع سنوات. فاذا كانت القرارات المصيرية ستتخذ يجب ان تكون الضمانات أكبر من ضمانات أميركية فقط ولعل الأفضل الضمانات الأميركية - الاوروبية - الروسية.

وهذا ما علمنا اياه التاريخ وتؤكده كتب ككتاب فنكلستون وغيره من المصادر المفيدة عن السياسة في الشرق الأوسط.

أوضح الكاتب ان انور السادات تخلص من الهيمنة السوفياتية على مصر ووقع فريسة لوعود لم تتحقق، ودفع حياته ثمناً للتراجعات في مواقف مفاوضيه الاسرائيليين وتقاعس «المفاوض الأكبر» بسبب طبيعة النظام السياسي الاميركي لكنه ظل حتى اغتياله (بنظر فنكلستون) صاحب الرؤية الذي تحدي.

وهنا يطرح السؤال عما اذا كان التحدي يشكل الخيار الأفضل للقادة العرب أو غيرهم من قادة الشرق الأوسط في هذه المرحلة من التاريخ أو ان الوضع الحالي يفرض التروي والدهاء السياسي.

السادات مع اسرته

السادات يوقع على اتفاقات كامب ديفيد